تثبت الصحابة رضی اللہ عنہم فی روایۃ الحدیث النبوی ومظاہرہ

The Authenticity of Companions in Narration of Hadith and its manifestations

*۔سعاد محمد عباس

ABSTRACT

The Companions of the Holy Prophet Hazrat Muhammad Peace Be upon Him learned Hadith from Him and narrated it to the next generations with honesty and trustworthiness. Their integrity and sincerity for Islam was even witnessed by Al-Quran. There was diversity of skills among the companions of the Holy Prophet Hazrat Muhammad Peace Be Upon Him. Some of them were completely devoted for Hadith collection. Inspite of full devotion for collection of Hadith they were extremely careful in collection and reporting of Hadith. This reason that some of them have narrated only few Hadith. This tradition of carefulness in narration of Hadith was funded in life time of Holly Prophet and established during the period of rightly guided Caliphs. This article is aimed to clarify that carefulness in collection of Hadith was established in early period of Islam and it is not later phenomenon. This has been elaborated and justified in this article with some examples.

Key Words: Honesty, Trustworthiness, Sincerity, Hadith Collection, Careful

*۔المحاضرۃ بقسم الدراسات الإسلامیۃ کلیۃ العلوم الاجتماعیۃ الجامعۃ الوطنیۃ للغات الحدیثۃ إسلام آباد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، بعثه للعالمين رحمة وهاديا ومبشرا ونذيرا، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فجزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته الكرام، وأصحابه العظام، وعلى من أحبهم إلى يوم الفرقان.

أما بعد، فإن الانشغال بالكتاب والسنة والخوض فيهما من أفضل الأعمال، وذلكم لمكانتهما في الإسلام، ولكونهما مصدران أساسيان في التشريع الإسلامي، فإذا تقرّر ذلك، فكان كلما يتعلق بهما من العلوم يستمدّ شرفهما ومنزلتهما، وعلى هذا الأساس لا يتنازع اثنان من المسلمين في عدالة الصحابة رضي الله عنه أجمعين وصدق نياتهم، وأنهم كانوا يتورعون في أمورهم العادية فضلا عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم من أبعد الناس عن هذه الجريمة وزيادة على ذلك فإنهم هم الرواة هذا الحديث الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار1.

وكانوا رضي الله عنهم من شدة تحرّيهم عما ينقل ويسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم يَمنعون مِن إكثار الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يقعوا في الكذب، وهذا ما حدث للصحابة رضي الله عنهم الذين قلّلوا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك هذا الخوف أي الكذب على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من افتراء الكذّابين، لأنّ الوحي ما زال ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن يصدر من هذه الجريمة الشنيعة يكشف أمره ويفضح سره، فالسنة المطهرة في مأمن من كيد الكائدين وغش الغاشين، وصدق الله تعالى حيث قال: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ)2، وقد كان إذا حَدَث بينهم خلاف أو نزاع بينهم، ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)3.

وهذا المثال خير دليل على ما سبق، روى المسور بن المخرمة وعبدالرحمن بن عبدالقاري أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ بسورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلّم، فلببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (أرسله)، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت)، ثم قال: (اقرأ يا عمر)، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت)، (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه)2.

وغيره من الوقائع التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي فيها على الخلاف ويصحح فيها من قصر عن الفهم الصحيح، ولكن لما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلى جوار ربه تبارك وتعالى، لم يكن هناك من يحفظ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة ويحرسهما بفضل الله إلا صدور الصحابة رضي الله عنهم، فقد انقطع الوحي وانتشر بعض النفاق، وارتد من العرب، ومنع بعضهم الزكاة، فكان يخشى من هؤلاء أن يعبثوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبا بكر رضي الله عنه وقف موقف الحذر، فكما قضى على المرتدين ومانعي الزكاة، كذلك سد الباب في وجوه الكذابين في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وضعه من شروط الرواية، منها التثبت في الرواية بأن يؤكده من يشهد معه في رواية ذلك، كما روى الحافظ الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الحديث، فروى عن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدّة جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه تلتمس أن تورث، فقال رضي الله عنه: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس فقام المغيرة رضي الله عنه فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة رضي الله عنه بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه3، ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده سائراً على نهجه، فأرهب الكذابين وخوّف المحرفين، وسار من أتى خلفهما فكانوا خير خلَف لخير سلَف، ثم أتى العلماء المحدّثون الذين أكملوا وأحسنوا ولم يتركوا أي مجال للمشككين في السنة المطهرة، ومن هذا المنطلق أحببت أن أجمع بعض المواد في هذا المضمار، فقسمتُ البحث إلى أمرين: أولا: حرص الصحابة في رواية الحديث واهتمامهم به، وثانيا: نماذج من مظاهر تثبّت الصحابة في رواية الحديث.

حرص الصحابة رضي الله عنهم على رواية الحديث واهتمامهم بها:

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من أشدّ الناس الذين حرصوا على السنة أخذا ورواية، وشدة حرصهم واهتمامهم تتجلى من الآتي:

أولا: رواية النبي صلى الله عليه وسلم عن الصحابة رضي الله عنهم:

إن معظم الروايات الحديثية هي التي يرويها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك هو الأصل، ولكن قد حدث العكس أي أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عن الصحابي، وذلك ثقة منه صلى الله

عليه وسلم على أمانتهم وصدقهم، واعترافا منه صلى الله عليه وسلم على اهتمامهم البالغ فى هذا الشأن، والحديث المشهور فى هذا الباب هوحديث الجساسة، فقد روى الإمام مسلم بسنده عامربن شراحيل الشعبى شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال: حدثينى حديثا سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسنديه إلى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثينى، فقالت: نكحتُ ابنَ المغيرة، وهومن خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب فى أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تأيمت خطبنى عبد الرحمن بن عوف فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحبنى فليحب أسامة، فلما كلمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: أمرى بيدك، فأنكحنى من شئت، فقال: انتقلى إلى أم شريك، وأم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة فى سبيل الله، ينزل عليها الضيفان، فقلت: سأفعل، فقال: لا تفعلى إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإنى أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلى إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم، وهو رجل من بنى فهر فهر قريش، وهو من البطن الذى هى منه، فانتقلت إليه، فلما انقضت عدتى، سمعت نداء المنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى، الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر، وهويضحك، فقال: (ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم أرفئوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلا، فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى، فأخبرونى، ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا فى سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا فى أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما

الجساسة﵂ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبرونى عن نخل بيسان، قلنا: عن أى شأنها تستخبر﵂ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر﵂ قلنا: له نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال أخبرونى عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أى شأنها تستخبر، قال: هل فيها ماء﵂ قالوا: هى كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب)...اه1.

فهذا الحديث الذى يسمى حديث الجساسة، يروى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصحابى تميم الدارى رضى الله عنه، وما ذلك إلا اعترافا على صدقهم وأمانتهم فيما يروونه.

ثانيا: رواية الصحابى عن التابعى:

ومن شدة اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالحديث أنهم رووا عمن دونهم أى التابعين رحمهم الله، وهذا إن دل على شىء، فقد دل على حرصهم البالغ واهتمامهم الشديد فى الرواية والتحديث، يقول الإمام السيوطى رحمه الله: النوع الثامن والسبعون، ما رواه الصحابة عن التابعين عن الصحابة، هذا النوع زدتُه أنا، وقد ألّف فيه الخطيب، وقد أنكر بعضهم وجود ذلك، وقال: إن رواية الصحابة عن التابعين إنما هى فى الإسرائيليات والموقوفات، وليس كذلك، ثم سرد الأمثلة على ذلك4.

ثالثا: تقسيم الصحابة إلى المكثرين والمقلّين فى الرواية:

قبل الخوض فى تقسيم الصحابة رضى الله عنه إلى المكثرين والمقلين يُحبّذ أن يُبحث عن أسباب إقلال الصحابة للأحاديث النبوية.

كما سبق ذكره أن الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه جعل شروطا فى رواية الحديث الشريف، واقتفى أثره عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم وذلك شدة تحريهم فى نقله خشية أن يتخذ المنافقون والذين فى قلوبهم مرض من انتشار الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذريعة ليزيدوا فيه كذباً وزوراً، ولئلا تزلّ بالمكثرين من رواية الحديث أقدامُهم بعد ثبوتها، فيسقط فى حفوة الخطأ والنسيان، فيكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعرون، كما كرهوا أن يشتغل برواية الحديث وينصرفوا عن حفظ القرآن الكريم، فإنه لم يتيسر حفظه لكثير منهم وقت نزوله، فما أحوج المسلمين إلى ذلك وقد تمّ نزوله إلى حفظه وتناقله، والتثبت منه والوقوف على دراسته، لذلك نجد أن الصحابة رضى الله عنهم لم يرووا من الحديث إلا بقدر ما يعرض لهم من القضاء والفتوى، فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه على كثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلل من رواية الحديث ويتشدد فى شروط الراوى، وكذلك عمران بن حصين رضى الله عنه، وهذا أبو عبيدة رضى الله عنه وهلم جرا، فكلهم كانوا يقلون من رواية

الحديث حتى أن سعد بن زيد رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة لم يرو له إلا حديثان أو ثلاثة، وهذا أبي بن عمارة رضى الله عنه لم يرو له إلا حديث واحد فى المسح على الخفين، وهذا أبو هريرة رضى الله عنه كان وعاء من أوعية الحديث ولكن يمسك عن التحديث فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أنه معدود فى المكثرين من الصحابة لرواية الحديث، لكنه اتباعاً لسنة الشيخين فى التقليل من الرواية يكف عنها، ثم لما طالت به الأيام وكثرت الحوادث واحتيج إلى ما عنده من العلم حدث به، وأظهره للناس كما روى البخارى ومسلم عنه رضى الله عنه أنه قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتُ حديثاً، ثم يتلو قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ1)، حتى يبلغ قوله تعالى (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ2)، إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق فى الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون3، وإنما اشتد إنكارهم على أبي هريرة رضى الله عنه لأنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة سنين، وأتى من الرواية عنه بما لم يأت به أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبعد أن أخبرهم بأنه كان ألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لم تشغله عن مجالسته تجارة ولا بيع ولا زرع ولا ضرع، فحفظ مالم يحفظوا سكتوا عنه، ومع ذلك فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يمسك عن التحديث فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كان شديداً على رواية الحديث حذراً من خطر الإكثار، فقد قيل لأبي هريرة رضى الله عنه: أكنت تحدث فى زمن عمر رضى الله عنه هكذا؟ قال: لو كنتُ أحدث فى زمن عمر رضى الله عنه مثلما أحدثكم لضربنى بمخفقته5.

وقد كان واضحاً من أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه يأمر الناس بتقليل الرواية، وكان مهيبا عند جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، روى الشعبى عن قرظة بن كعب أنه قال: بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وشيعنا فمشى معنا إلى موضع يقال له (صرار)، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحق الأنصار، قال: لكنى مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، وأردت أن تحفظوه لمشاى معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن فى صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شريككم4.

وروى البخارى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه قال لأبيه: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله رضى الله عنه كما يحدث فلان وفلان، فقال له: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: (من كذب على فليتبوأ مقعده من النار5.

وذكر ابن ماجه أن زيد بن أرقم كان يقال له: حدِّثنا، فيقول: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد6.

فخلاصة القول في موقف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الرواية أنهم على قسمين:

قسم المقلين لها كأبي بكر وعمر (وأبي هريرة في زمن عمر) وزيد بن أرقم وعمران بن حصين والزبير رضى الله عنهم أجمعين. وقسم المكثرين لها: كأبي هريرة الذى كان وعاء من أوعية الحديث التى فاضت على المسلمين، فملأت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه صدورهم ومجالسهم، وعبد الله بن عمرو كان يحدث الناس من صحيفته (الصادقة)، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم كان يطلب الحديث عند كبار الصحابة، ويتحمّل في سبيل ذلك عناء ومشقة، وهكذا لقي في سبيل الحديث من العناء والمشقة ما لقي إلى أن استوعب حديث من لقيهم من الصحابة، فلزم بيته غير متزمت ولا مقل ويظهر أنه أقل من التحديث بعد ذلك حين ظهر الوضع في الحديث.

وروى مسلم في مقدمة صحيحه أن بشير بن كعب جاء إلى ابن عباس فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس رضى الله عنهما: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال: لا أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه1.

رابعا: الاهتمام بالمذاكرة:

وكان من شدة اهتمام الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يهتمون بمذاكرة الحديث واستظهاره، ويقصد بالمذاكرة: مطارحات علمية ومساجلات حديثية، يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الأحاديث وغرائب الأسانيد وخفي التعليلات، يسأل بعضهم بعضا عن ذلك، ويفيد الواحد منهم الآخر ما غاب عنه7.

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: تذاكروا هذا الحديث، وتزاوروا، فإنكم إن لا تفعلوا يدرس8. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها9، وقال أيضا: ردوا الحديث واستذكروه، فإنه إن لم تذكروه ذهب، ولا يقولن رجل لحديث قد حدثته: قد حدثته مرة، فإنه من كان سمعه يزداد به علما، ويسمع من لم يسمع10.

وللمذاكرة أثر طيب للحفظ والإتقان وتثبيت المعلومات، أشار إلى ذلك الإمام النووي قائلا: فإن بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر، ويتأكد ويتقرر ويزداد، بحسب كثرة المذاكرة، ومذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أياما.11

مظاهر تثبت الصحابة فی روایة الحدیث

وكما أقرّ الصحابة بالإقلال من رواية الحديث وأمسكوا عن الإكثار منه، فقد ساروا على منهاج التثبت فی الراوی والمروی مهتدين فی ذلك بكتاب الله ومسترشدين بما تواتر أو اشتهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذوا الحديث بحيطة بالغة وحذر شديد، فإذا اطمأن قلوبهم إلا الحديث بأن كان متواترا أو مشهورا أو آحادا لم يكن فی رواية من يشك فی حفظه وضبطه قبلوه وعملوا به ولم يطلبوا عليه شهيداً ولا دليلاً، وما وقع فيه شكٌّ وارتياب طلبوا عليه ظهيرا، ومالم تقم البينة على صدقه مما وقع فيه شك أو كان مخالفاً لكتاب الله ردوه على قائله:

أولاً: تثبت الخلفاء الرشدين رضی الله عنهم فی الرواية:

(أ) تثبّت أبی بكر الصديق رضی الله عنه فی قبول الحديث:

روى الحافظ الذهبی فی تذكرة الحفاظ فی ترجمة أبی بكر الصديق رضی الله عنه قال: كان أبو بكر رضی الله عنه أول من احتاط فی قبول الحديث12، فروى عن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبی بكر تتلمس أن تورث، فقال: ما أجد لكِ فی كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله رضی الله عنه ذكر لكِ شيئاً ثم سأل الناسَ، فقام المغيرة، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه، لها أبو بكر رضی الله عنه13.

فأخبر أبو بكر الصديق رضی الله عنه كيف يكون الاهتمام بالرواية والتثبّت فيها، وعلّم الناسَ لابد أن يراعوا فيما يخبرونه عن النبی صلى الله عليه وسلم من الحيطة والرعاية.

(ب) تثبت عمر بن الخطاب رضی الله عنه فی قبول الحديث:

وعن شقيق قال: كنت جالسا مع عبدالله وأبی موسى، فقال أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن، أرأيت لو أن رجلا أجنب فلم يجد الماء شهراً، كيف يصنع بالصلاة، فقال: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً، فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية فی سورة المائدة: فلم تجدوا ماء فتيمموا طيبا، فقال عبدالله: لو رخص لهم فی هذه الآية، لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد، فقال أبو موسى لعبدالله، ألم تسمع قول عمار: بعثنی رسول الله صلى الله عليه وسلم فی حاجة فأجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت فی الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبی صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه، فقال عبدالله: أولم ترعمر لم يقنع بقول عمار14.

وقال الحافظ الذهبی رحمه الله فی ترجمة أمیر المؤمنین عمر بن الخطاب رضی الله عنه، وهو الذی سنّ للمحدّثین التثبت فی النقل، و ربما کان یتوقف فی خبر الواحد إذا ارتاب، روی سعید الجریری عن أبی نضرة عن أبی سعید الخدری قال: سلّم عبدالله بن قیس أبو موسی الأشعری علی عمر بن الخطاب ثلاث مرات، فلم یؤذن له فرجع، فأقبل عمر فی أثره، فقال لم رجعت، فقال: إنی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول: (إذا سلّم أحدکم ثلاثاً، فلم یجب، فلیرجع)، فقال عمر: لتأتینی علی ما تقول ببیّنة أو لأفعلنّ بك کذا غیر أنه قد أوعده، فجاءنا أبو موسی منتقعا لونُه، وأنا فی حلقة جالس، فقلنا ما شأنك؟ فقال: سلّمت علی عمر، فأخبرنا خبره، فهل سمع أحد منکم من رسول الله صلی الله علیه وسلم؟ قالوا کلّنا قد سمعه، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتی أتی عمر رضی الله عنه، فأخبره ذلك15.

فالخلیفة رضی الله عنه طلب البینة لیس لأن أبا موسی غیر مؤتمن عنده، بل لأمر آخر یفصح عنه عمر نفسه، فقد جاء فی روایة الإمام مالك لهذه القصة قول عمر رضی الله عنه: أما إنی لم أتهمك، ولکنی خشیت أن یتقول الناس علی رسول الله صلی الله علیه وسلم16.

وقد علّق علیه ابن حبان قائلا: قد أخبر عمر بن الخطاب أنه لم یتهم أبا موسی فی روایته، وطلب البینة منه علی ما أراد تکذیبا له، وإنما کان یشدد فیه لأن یعلم الناس أن الحدیث عن رسول الله صلی الله علیه وسلم شدید فلا یجیء من بعدهم من یجتری فیکذب علیه صلی الله علیه وسلم17.

و روی مسلم عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب رضی الله عنه الناس فی إملاص المرأة، فقال المغیرة بن شعبة: شهدتُ النبی صلی الله علیه وسلم قضی فیه بغرة (عبد أو أمة)، قال: فقال عمر: ائتنی بمن یشهد معك، قال: فشهد له محمد بن مسلمة18.

عن سعید بن المسیب أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه کان یقول: الدیة للعاقلة ولا ترث المرأة من دیة زوجها شیئاً، حتی أخبر الضحاك بن سفیان أن رسول الله صلی الله علیه وسلم کتب إلیه: (أن ترث امرأة أشیم الضبابی من دیته)، فرجع عمر رضی الله عنه19.

(ج) تثبت عثمان بن عفان رضی الله عنه:

ولم یکن لذی النورین أقلّ حظا من الصاحبَیْن رضی الله عنهم أجمعین فی تثبت الروایة الفحص فیها، فعن بسر بن سعید قال: أتی عثمان المقاعد، فدعا بوضوء، فتمضض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا، ویدیه ثلاثا ثلاثا، ثم برأسه، ورجلیه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: رأیت رسول الله صلی الله علیه وسلم هکذا یتوضأ یا هؤلآء أکذلك؟ قالوا: نعم لنفر من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم عنده20.

وهذا العمل بمحضر الصحابة ثم السؤال منهم للتأكيد عليه نستفيد منه أنه أراد تأكيد الإضافة إلى النبى صلى الله عليه وسلم.

د—تثبت على بن أبي طالب رضى الله عنه:

وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: كنتُ إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء منه، وإذا حدثنى غيره استحلفته، فإذا حلف لى صدقته، وإن أبا بكر حدثنى وصدق أبو بكر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين فيستغفر الله إلا غفر له)21.

وما روى عنه رضى الله عنه من استحلاف الراوى، فإن هذا لم يكن موقفه دائماً فى قبول جميع الأخبار بل قبل بعض الأخبار من غير أن يستحلف الراوى أو أن يشدد عليه مثل ما ذكر فى خبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى فيه أن العبد المذنب إذا صلى ركعتين واستغفر ربه غفر له، ومن ثم تبين لنا أن الخلفاء الأربعة لم يكن لهم شروط خاصة لقبول الأحاديث أكثر من حصول الثقة بالراوى بأن يكون عدلاً مسلماً ضابطاً لما يرويه، وما روى عنهم لا يعدو التثبّت والتوثّق عند عروض الشك، فقد قبلوا أخبار الآحاد كما قبلها غيرهم من عامة الصحابة وعلمائهم رضى الله عنهم، فقصارى القول فى هذا أنهم يريدون التأكيد والتثبت.

هذا كان منهج الصحابة فى التثبت لقبول الحديث، وكانوا يفعلون ذلك إما للتثبت عند عروض الشك أو لئلا يتسامح الناس فى رواية الحديث، ولا يؤخذ من هذه الأخبار أبداً أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث أن يرويه راويان فأكثر، أو أن يشهد الناس على الراوى أو أن يستحلف، وأنه إذا لم يحصل شىء من هذا رد خبره، بل المقصود ما ذكر وهو التثبت لإغلاق أبواب الكذب فى الحديث، والآثار المستفيضة التى تشهد بأن عمر رضى الله عنه أخذ بأحاديث لم يروها له إلا راو واحد، وأن علياً رضى الله عنه قَبِل حديث بعض الصحابة دون أن يستحلف وأن أبا بكر رضى الله عنه روى عنه مثل ذلك.

ثانيا: الاستشهاد على الرواية لأجل التثبت:

ومن مظاهر التثبت على الرواية عند الصحابة رضى الله عنهم هو الاستشهاد على الرواية:

فمن أمثلة على ذلك:

عن أبى عبد الرحمن الأوزاعى أنه سمع المطلب بن عبد الله يقول: قال ابن عباس رضى الله عنهما: أتوضأ من طعام أجده فى الله حلالا، لأن النار مستة، فجبع أبو هريرة رضى الله عنه حصى، فقال: أشهد عدد هذه الحصى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: توضؤوا مما مست النار22.

ومن ذلك عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان)، قال: فدخل الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قالوا: كذا وكذا، قال: صدق أبو عبد الرحمن في نزلت، كان بيني وبين رجل أرض باليمن، فخاصمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (هل لك بينة)؟ فقلت: لا، قال: (فيمينه)، قلت: إذن يحلف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقى الله وهو عليه غضبان)، فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)23.

ثالثا: السؤال عن صاحب الشأن في الرواية لزيادة التأكيد:

ومن طرق التثبت عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يرجعون إلى صاحب الشأن في الرواية، أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نتمنى أن يأتي الأعرابي العاقل، فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده، فبينا نحن كذلك إذا أتاه أعرابي فجثا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد إن رسولك أتانا، فزعم لنا أنك تزعم لنا أن الله أرسلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي رفع السماء، وبسط الأرض، ونصب الجبال الله أرسلك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا صوم شهر في السنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا في أموالنا الزكاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا الحج إلى البيت من استطاع إليه سبيلا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: والذي بعثك بالحق لا أدع منهن شيئا ولا أجاوزهن، ثم وثب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن صدق الإعرابي دخل الجنة)24.

وعن عبد الله بن بريدة أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل إلى فضالة بن عبيد، وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتك زائرا، ولكني سمعت أنا وأنت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت أن يكون عندك منه علم، قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وما لي أراك شعثاً وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسو الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الإرفاه، قال: فما لي لا أرى عليك حذاء، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نحتفي أحيانا25.

وقد سافر أبو أيوب الأنصاری إلى مصر لسماع حديث من عقبة بن عامر الجهنی رضی الله عنهما وهو حديث: (من ستر مؤمنا في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة)26.

ومثال آخر على ذلك أن جابر بن عبدالله قد سافر إلى بلاد الشام ليسمع حديثا من عبدالله بن أنيس الأنصاری، وأنه قال له حين وصل إليه: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الناس عراة بهما.....الخ)27.

رابعا: التأكد من حفظ الراوی:

ومن مظاهر التثبت عند الصحابة رضی الله عنهم أجمعين في الرواية أنهم يتأكدون من حفظ الراوی، يدل على ذلك ما يرويه البخاری رحمه الله تعالى بإسناده عن عروة قال: حج علينا عبدالله بن عمرو، فسمعته يقول: سمعتُ النبی صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون، فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون)، فحدثت به عائشة زوج النبی صلى الله عليه وسلم ثم إن عبدالله بن عمرو حج بعد، فقالت: يا ابن أختی، انطلق إلى عبدالله، فاستثبت لی منه الذی حدثنی عنه، فجئته، فسألته، فحدثنی به كنحو ما حدثنی، فأتيت عائشة رضی الله عنها، فأخبرتها، فعجبت، فقالت: والله، لقد حفظ عبدالله بن عمرو28.

وسار من جاء بعده بهذا المنهج السليم، فقد كانوا يتثبتون من حفظ الراوی وقوته، فعن نافع عن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل عنها أی صلاة العشاء ليلة، فأخرجها حتى رقدنا في المسجد ثم استيقظنا ثم رقدنا، ثم خرج علينا النبی صلى الله عليه وسلم، ثم قال: (ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم، وكان ابن عمر لا يبالي أقدمها أم أخرها إذ كان لا يخشى أن يغلبه النوم عن وقتها، وكان يرقد قبلها)، قال ابن جريج: قلت لعطاء وقد سمعت ابن عباس يقول أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء حتى رقد الناس، واستيقظوا، ورقدوا واستيقظوا، فقام عمر بن الخطاب، فقال: الصلاة، فقال عطاء: قال ابن عباس: فخرج نبی الله صلى الله عليه وسلم كأنی أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماء واضعا يده على رأسه، فقال: (لولا أن أشق على أمتی لأمرتهم أن يصلوا هكذا)، فاستثبتُ عطاء كيف وضع النبی صلى الله عليه وسلم على رأسه يده، كما أنبأه ابن عباس رضی الله عنهما، فبدد لی عطاء بين أصابعه شيئا من تبديد ثم وضع أطراف أصابعه على قرن الرأس ثم ضمها يمرها كذلك على الرأس حتى مست إبهامه من طرف الأذن مما يلی الوجه على الصدغ وناحية اللحية لا يقص ولا يبطش إلى كذلك، وقال: لولا أن أشق على أمتی لأمرتهم أن يصلوا هكذا.29.

خامسا: استفسار الراوی والسؤال عنه عن روایته أو سؤال الغیر عن هذه الروایة:

وكانت من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يستفسرون الراوی عن سماعه من النبی صلی الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه مسلم عن أبی هريرة رضی الله عنه أنه قال لكعب بن الأحبار: إن النبی صلی الله عليه وسلم قال: (لكل نبی دعوة يدعوها، وأنا أريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتی شفاعة لأمتی يوم القيامة)، فقال كعب لأبی هريرة: أنت سمعت هذا من رسول الله صلی الله عليه وسلم؟ قال أبو هريرة رضی الله عنه: نعم30.

وعن ابن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال: قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: (لا يلج النار من صلی قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)، وعنده رجل من أهل البصرة، فقال: أنت سمعت هذا من النبی صلی الله عليه وسلم؟ قال: نعم، أشهد به عليه، وأنا أشهد لقد سمعت النبی صلی الله عليه وسلم يقول بالمكان الذی سمعته منه31.

ومن ذلك ما جاء عن ابن عمار، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضبع؟ فأمرنی بأكلها، قلت: أصيدها؟ قال: نعم، قلت: أسمعته من رسول الله صلی الله عليه وسلم؟ قال: نعم.32

ومن أمثلة ما استفسر الصحابة عن الراوی ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال: (ما من نبی إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده، فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)، قال أبو رافع: فحدثت عبد الله بن عمر، فأنكره علی، فقدم ابن مسعود، فنزل بقناة، فاستتبعنی إليه عبد الله بن عمر يعوده، فانطلقت معه، فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث؟ فحدثنی كما حدثته ابن عمر33.

سادسا: استحلاف الراوی علی الروایة:

ومن مظاهر التثبت عند الصحابة رضی الله عنهم أنهم يستحلفون علی الرواية، ويدل علی ذلك ما أخرجه الترمذی من حديث أسماء بن الحكم الفزاری، قال: سمعت عليا يقول: إنی كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلی الله عليه وسلم حديثا نفعنی الله منه بما شاء أن ينفعنی، وإذا حدثنی رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لی صدقته، وإنه حدثنی أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله صلی الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا، ثم يقوم، فيتطهر ثم يصلی ثم يستغفر الله إلا غفر له، ثم قرأ هذه الآية: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)34.

وقد حلف ابن مسعود رضى الله عنه لمن يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: والله الذى لا إله غيره ما أنزلت سورة فى كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه35.

وعن زر بن حبيش قال: سمعت أبى بن كعب يقول وقيل له: إن عبدالله بن مسعود يقول من قام السنة أقام ليلة القدر، فقال أبى: والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان، يحلف ما يستثنى، والله إنى لأعلم أى ليلة هى، هى الليلة التى أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هى ليلة صبيحة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع فيها36.

وهذا من أقوى مظاهر التثبت فإنهم لنفى الشك والتردد فى قبول الرواية يحلف قبل التحديث والرواية.

سابعا: التأكد من عدالة وضبط الشيخ أو الراوى:

ومن مظاهر التثبت عندهم أنهم كانوا يفحصون من عدالة الشيخ، يقل الإمام الحاكم النيسابورى: وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه، ... وأما أمير المؤمنين على رضى الله عنه فكان إذا فاته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ثم سمعه من غيره، يحلف المحدث الذى يحدث به، والحديث فى ذلك عنه مستفيض مشهور37، فمن ذلك:

عن أبى سكينة مُجاشع بن عطية، قال: سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهو فى مسجد الكوفة يقول: يا أيها الناس انظروا ممن تأخذوا هذا العلم، فإنما هو الدين.38.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه.39.

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: لن يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أكابرهم وذوى أسنانهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم وأسافلهم هلكوا40.

ومن ذلك قول أنس رضى الله عنه: ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضُنا بعضا.41

وقريبا من ذلك قول البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كل ما نحدثكم عن رسول الله سمعناه منه، منه ما سمعناه ومنه ما حدثنا أصحابنا، ونحن لا نكذب.42

ثامنا: عدم الالتفات إلى الغريب والمنكر من الروايات:

ومن ذلك أخذهم المعروف من الروايات، وتجنبهم الغرائب والمناكير، يدل على ذلك ما يرويه مجاهد بن جبر المكي، قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فجعل يحدّث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تسمع، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.43

تاسعا: الاهتمام والحرص الشديد على الرواية باللفظ مع تجويزهم برواية المعنى:

وكان من اهتمامهم على الرواية والأحاديث أنهم كانوا يحرصون على الرواية باللفظ الوادر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كان أصلا، ومع ذلك أنهم يقبلون الرواية بالمعنى كذلك، وكان ذلك امتثالا لما جاء في بعض الأحاديث من أداء الأحاديث كما جاء، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرءا سمع مقالتي، فبلغه كما سمع، فرُبّ مبلّغ أوعى من سامع)44، ونحو ذلك روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: من سمع حديثا، فأداه كما سمع، فقد سلم.45

وتدل الروايات التالية على مدى اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بألفاظ الحديث:

عن محمد بن علي قال: لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيد فيه ولا ينقص، ولا ولا، مثل عبد الله بن عمر.46

وعن حبيب بن عبيد: أن أبا أمامة الباهلي رضي الله كان يحدث بالحديث، كالرجل الذي يؤدي ما سمع47.

ومن ذلك وما جاء أن ابن عمر رضي الله عنهما إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه، ولم يجاوزه ولم يقصر عنه48.

ومن مظاهر اهتمامهم بألفاظ الأحاديث ما يلي:

الالتزام بإيراد الكلمات الغريبة في الحديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إني لآخذ بخطام الناقة حتى استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، قال: (اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا بصحبة، وأقبلنا بذمة، اللهم ازو لنا الأرض، وسيّرنا فيها، اللهم إني أعوذ بك من عوثاء السفر، وكآبة المنقلب)، قال أبو زرعة: وكان أبو هريرة رجلا عربيا، لو شاء أن يقول: وعثاء السفر، لقال.49

ومن ذلك التصريح بالشك في الرواية أو ألفاظ الحديث، عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه، قال: كان على رضى الله عنه تخلّف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج على فلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم، فلما كان مساء الليلة التى فتحها فى صباحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعطينّ الراية)، أو قال: (ليأخذنّ غدا رجل يحبه الله ورسوله)، أو قال: (يحب الله ورسوله يفتح الله عليه)، فإذا نحن بعلى وما نرجوه، فقالوا: هذا على، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتح الله عليه.50

وحتى عدم استعمال المرادف، فعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عندما سمع عبيد بن عمير، وهو يقص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق مثل الشاة الرابضة بين الغنمين)، فقال ابن عمر رضى الله عنهما: ويلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين).51

والاهتمام حتى بترتيب الجمل، فعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: (بنى الإسلام على خمس، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان)، فقال رجل لعبدالله: ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، قال: لا، اجعل صيام رمضان آخرهن، كما سمعت من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.52

وإضافة كلمات أو جمل التى تدل على شدة تحريهم ووعيهم للرواية والتأكيد عليها، فعن أبى شريح العدوى رضى الله عنه أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لى أيها الأمير، أحدثك قولا قام به النبى صلى الله عليه وسلم، الغد من يوم الفتح، سمعتْه أذناى، ووعاه قلبى، وأبصرتْه عيناى حين تكلم به: (حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن مكة حرّمها الله، ولم يحرّمها الناس)...53

وهذا كان مدى شدة العلماء فى باب الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم، وفى مقابل هذه الشدة نجد بعضهم يجيزون رواية الحديث بالمعنى، فعن عروة بن الزبير قال: قالت لى عائشة رضى الله عنها: يا بُنىّ، إنه يبلغنى أنك تكتب عنى الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلتُ لها: أسمعُه منكِ على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع فى المعنى خلافا؟ قلت: لا، قالت: لا بأس بذلك.54

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: كنا نجلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم عسى أن نكون عشرة نفر نسمع الحديث، فما منا اثنان يؤديانه على حرف، غير أن المعنى واحد.55

وعن مكحول قال: دخلنا على واثلة بن الأسقع، فقلنا: يا أبا الأسقع، حدِّثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس فيه وهم ولا نسيان، فقال: هل قرأ أحد منكم القرآن شيئا؟ قالوا: نعم، قال: فهل زدتم ألفا أو واوًا أو شيئا؟ فقلت: إنا لنزيد وننقص، وما نحن بأولئك في الحفظ، فقال: فهذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار، فكيف ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّة أو مرّتين، إذا حدّثْتُكم على معناه فحسبكم.56

عاشرا: مراعاة الفروق الفردية عند الرواية:

وهذه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد كان يُسأل ويُستفسر من قِبل الكثيرين وتكون الإجابات مختلفة مراعاة للفروق الفردية للمخاطبين، وكان الصحابة رضى الله عنهم يراعون هذا الجانب التربوى، فمن ذلك قول على بن أبي طالب رضى الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذّب الله ورسوله.57، ونحو هذا القول روى عن ابن عباس رضى الله عنهما: حدِّثوا الناس ما يعرفون، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله.58، وقريبا من ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه: ما أنت بمحدّث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.59

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد، فمن خلال هذا البحث توصلّتُ إلى النتائج التالية:

فقد تقرر عند جميع أهل العلماء أن تثبت الصحابة في تحمّل الرواية والأداء كان وفقا لأقوى وأعلى المنهج العلمى المعاصر. وشدة التثبت في التحمل والأداء كان شيئا معروفا لدى الصحابة رضى الله عنهم، لذا لم يعثر عن أحدهم من أنكره. ومن شدة التثبت عندهم أنهم كانوا يحلفون قبل التحديث والرواية أحيانا. ومن شدة احتياطهم أنهم كانوا يحترزون من مترادفات في الحديث، بل وقد كانوا يهتموا بترتيب الجمل في الحديث. وأخيراً أن جميع أصول وأسس التثبت للرواية في الوقت الحاضر فقد طبقها الصحابة رضى الله عنهم أجمعين في ذلك العصر المفضل بل أُسست على تطبيقاتهم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا.

حوالہ جات

[1] البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ "إنه يمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كذب..."، برقم: 108، وأحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ 1999م، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ له، 123/5.

[2] التوبة 64.

[3] النساء 59.

[2] البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، واللفظ له، برقم: (4608)، ومسلم، كتاب صلاة المسافر، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، برقم: (1354)، وأحمد، بإسناد صحيح وليس فيه مساورة عمر لهشام في الصلاة، برقم: (296) 43/1.

[3] الذهبي، تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ 1998م، 9/1، والحديث رواه الإمام مالك في الموطأ 513/2، وأبو داود، كتاب الفرئض، باب في الجدة، برقم: 2507، والترمذي، أبواب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ميراث الجدة، وقال: وفي الباب عن بريدة، وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة، برقم: (2027)، وابن ماجه، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، برقم: (2714).

[1] مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، برقم: 5235.

[4] السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، الحافظ أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بر جلال الدين السيوطي، تقديم: الدكتور أحمد معبد عبدالكريم، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1424 هـ 2003م، 580/3.

[1] البقرة 159.

[2] البقرة 160.

[3] ابن حجر، فتح الباري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، ترقيم الأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، 213/1، والنووي، المنهاج، شرح صحيح مسلم، 52/16.

[5] الذهبي، تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م، 12/1.

[4] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، برقم: 28.

[5] البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: 107.

[6] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، برقم: 25.

[1] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، 15/1.

[7] العوني، نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف، دار عالم الفوئد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1418ه، 35.

[8] الدارمي، 488/1، والخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 236/1.

[9] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، 484/1.

[10] الدارمي، 480/1.

[11] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1392ه، 47/1.

[12] الذهبي، تذكرة الحفاظ، 2/1.

[13] النسائي، السنن الكبرى، الامام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: دكتور عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1411ه 1991 م، 73/4.

[14] البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم من ضربة، برقم: 340، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، برقم: 844.

[15] الإمام أحمد، المسند، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1420ه 1999م، 270/32، ومصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1403م، برقم: 19423.

[16] أبو داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، برقم: (4510)، ومالك، برقم: (1520).

[17] ابن حبان، المجروحين، 37/1.

[18] البخاري، كتاب الديات، باب جنين المرأة، برقم: 6397، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد، برقم: 3188، وابن ماجه، كتاب الديات، باب دية الجنين، برقم: (2630).

[19] مسند الإمام أحمد، 24/25.

[20] مسند الإمام أحمد، 67/1.

[21] مسند الإمام أحمد، 223/1.

[22] النسائي، كتاب الطهارة، باب الوضوء مما غيرت النار، برقم: 175.

[23] البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران، رقم: 4275، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من أقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم: 372، والآية من سورة آل عمران، 77.

[24] البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله "وقل رب زدني علما"، برقم: 6، ومسلم، كتاب الإيمان، باب برقم: 111، والترمذي، أبواب الزكاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك، برقم: 619.

[25] أبو داود، كتاب الترجل، باب النهي عن كثير من الإرفاء، برقم: 4612.

[26] الإمام أحمد، 159/4، والحميدي، برقم: 384، وعبدالرزاق، المصنف، 228/10.

[27] الحاكم، المستدرك على الصحيحين، 475/2.

[28] البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، برقم: 7307.

[29] البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب النوم قبل العشاء، برقم: 545.

[30] مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوته الشفاعة لأمته، برقم: 511.

[31] مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، برقم: 149، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، برقم: 427.

[32] النسائي: كتاب مناسك الحج، باب ما لا يقتله المحرم، برقم: 2836، والترمذي، أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الضبع يصيبها المحرم، بلفظ، قال: قلت لجابر: الضبع أصيد هي؟ قال: نعم، قال: قلت: آكلها؟ قال: نعم، قال: قلت: أقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم؟، برقم: 851.

[33] مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم: 188.

[34] أبو داود، كتاب الوتر، باب الاستغفار، برقم: 1523، والترمذي، أبواب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة آل عمران، برقم: 3006.

[35] البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: 4716، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الصحابة، برقم: 6487.

[36] مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم: 1821.

[37] الحاكم، معرفة علوم الحديث، 14.

[38] ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، وعبدالفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ 1997م، 253/1.

[39] المرجع السابق.

[40] المرجع السابق.

[41] الخطيب البغدادي، الكفاية، 386.

[42] ابن عدي، الكامل، 263/1.

[43] مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها.

[44] الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، برقم: 2657.

[45] ابن عبدالبر، جامع العلوم وفضله، 208/2، والخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[46] الخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[47] الخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[48] المرجع السابق.

[49] المرجع السابق، 176.

[50] البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، برقم: 3702، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل على بن أبي طالب، برقم: 2407.

[51] مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب بدون عنوان، برقم: 4990، والخطيب البغدادي، الكفاية، 176.

[52] الخطيب البغدادي، الكفاية، 176.

[53] البخاري، كتاب العلم، باب ليُبلّغ العلمَ الشاهدُ الغائب، برقم: 104، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولُقطها إلا لمنشد على الدوام، برقم: 1354.

[54] الخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[55] المرجع السابق، 204.

[56] المرجع السابق، 203.

[57] البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، برقم: 127.

[58] ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، 540/1.

[59] مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، 21/1.